



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2026/06/25

تاريخ القبول: 2026/09/09

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة

"أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقارنة أسلوبية

*The Poetics of Substitutional and Syntactic Deviation
in Ibtisam Al-Hindawi's**Poem Autumn Dreams: A Stylistic Approach*ط.د. زينب هرويني¹ ، أ.د. سامية جبباري²¹جامعة غرداية، (الجزائر)،Herouini.zineb@univ-ghardaia.edu.dz²جامعة غرداية، (الجزائر)،Djebari26@gmail.com

الملخص: تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ«شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقارنة أسلوبية» إلى الكشف عن أثر الانزياح في بناء شعرية اللغة وبلاغة الخطاب الشعري، واعتُمدت المقاربة الأسلوبية لرصد تجليات الانزياح في عتبة العنوان وفي المستويين التركيبي والاستبدالي، كونه آلية فنية تسهم في تجاوز المألوف وتوليد الدلالات الشعرية وتعميق البنية التخيلية للنص.

وتوصلت الدراسة إلى أن الانزياح يمثل ركيزة أساسية في تشكيل التجربة الشعرية لدى الشاعرة، إذ أسهم في تجسيد أبعادها الوجدانية والوجودية، ومحاكاة توتراتها الداخلية، كما عزز شعرية النص من خلال التفاعل بين الحلم والانكسار، والحنين والاعتزاب، مما أكسب الخطاب الشعري كثافة دلالية ولغة شعرية.

الكلمات المفتاحية: أحلام الخريف؛ الانزياح؛ المستوى الاستبدالي؛ المستوى التركيبي؛ شعرية اللغة؛ المقاربة الأسلوبية.

ABSTRACT

This study investigates the role of paradigmatic and syntagmatic deviation in shaping the poetics of language and poetic discourse in Ibtisam Al-Hindawi's poem *Autumn Dreams*. Using a stylistic approach, it examines manifestations of deviation in the title and textual structure as a means of generating meaning and enhancing poetic expression. The study concludes that deviation functions as a central poetic device that shapes the poet's emotional and existential experience, enriches the text with aesthetic and semantic depth, and reinforces its poeticity.

Keywords: Autumn Dreams; Deviation; Paradigmatic Level; Syntagmatic Level; Poetics of Language; Stylistic Approach.

يُعدّ الأدب السوري منبعاً ثراً للقصائد الشعرية، فهو بلد نخبة شعراء العصر الحديث والمعاصر المتميزين بأشعارهم التي وصلت للعالمية، لما انطوت عليه من تجارب شعرية متنوعة تجمع بين الأصالة والحداثة، وتُعبّر عن تحولات الذات والعالم، فقد ساهم الأدب السوري في إعادة تشكيل الوعي الشعري العربي الحديث والمعاصر، من خلال أصوات فارقة مثل نزار قباني وأدونيس وسليمان العيسى وغيرهم كثير، والذين أسسوا كلّ بطريقته، لحداثة شعرية غير أنّ هذا المشهد المتعدد لا يقتصر على الأسماء المعروفة، بل يضمّ أصواتاً ظلّت مغمورة على الرغم مما تحمله من قيمة فنية وجرأة تعبيرية.

ومن بين هذه الأسماء تبرز الشاعرة إبتسام الهنداوي، التي خاضت مبكراً تجربة الشعر الحر في سوريا، حيث كانت من المبادرين بالكتابة في الشعر الحر مبكراً، فعلى الرغم من جودة شعرها وفردته الأسلوبية، لم تنل إبتسام الهنداوي ما تستحقه من اهتمام نقدي، فظلّ إبداعها في الهامش، بعيداً عن القراءات التي تليق بجماليته وتعدّ قصيدتها "أحلام الخريف" من النماذج التي تُظهر اشتغالا مكثفاً على اللغة باعتبارها فضاء تتشكل فيه شعرية اللغة وتتبعث من داخله.

أوضحت لغة الشعر المعاصر وسيلةً ببنية ويتشكل من خلالها المعنى ويتحوّل، لتصبح حقلاً خصباً لتوظيف الانزياح والانتهاك، حيث يستثمره الشاعر للخروج عن النسق المثالي المألوف للغة، فتبتعد الكلمات عن مدلولاتها المباشرة، وتدخل في علاقات جديدة تولّد الدهشة وتكسر أفق التلقي، وهو في الوقت نفسه إضافة جمالية يمارسها المبدع لنقل تجربته الشعورية للمتلقى والتأثير فيه، من هنا برز مفهوم شعرية اللغة، بوصفه جوهر العملية الشعرية ومحور الجماليات النصية التي تُميّز الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات.

ويُعدّ الانزياح أبرز تجلٍ لهذه الشعرية، إذ يمثّل خرقاً مقصوداً للنسق المألوف سواء على مستوى التركيب أو الدلالة، وهو ما يجعل النص الشعري يبتعد عن المباشرة والتقريبية نحو فضاء أكثر انفتاحاً على التأويل. وقد اهتمّت الأسلوبية بهذا المفهوم، وعدّته أداة إجرائية للكشف عن شعرية النص، حتى إن بعض النقاد ذهبوا إلى وصفها بـ"علم الانزياحات"، لما تمنحه من أدوات لتحليل تحولات اللغة وتوترها داخل الخطاب الأدبي.

بناءً على ما سبق، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل قصيدة "أحلام الخريف" للشاعرة إبتسام الهنداوي من خلال رصد ظاهرة الانزياح بنوعيه الاستبدالي والتركيب وتجلياتهما في ضوء المنهج الأسلوبي، وذلك بغية الكشف عن آليات بناء الجمالية وشعرية اللغة في النص، ومدى مساهمة الانزياح في تكثيف التجربة الشعورية وتشكيل الدلالة وتعميق البنية التخيلية.

وينطلق البحث من الإشكالية التالية:

- كيف تجلّت شعرية الانزياح في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي؟

- وإلى أي مدى ساهمت ظاهرة الانزياح في إنتاج المعنى الشعري وبناء بلاغة الخطاب وشعرية لغته؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الأسلوبي، باعتباره المنهج الأنسب والأقدر على تحليل مستويات الانزياح المختلفة، وتوزّع مراحل البحث على قسمين رئيسيين:

الجانب النظري: وتتناول فيه مفهوم الانزياح لغة واصطلاحاً، مع التوقف عند إشكالية المصطلح وتطوره.

الجانب التطبيقي: نرصد فيه شعرية الانزياح في قصيدة "أحلام الخريف" من خلال الوقوف على عتبة العنوان، ثم تحليل مظاهر الانزياح الاستبدالي (كالاستعارة، الكناية، التشبيه) والانزياح التركيبي (كالتقديم والتأخير والحذف).

وتُختتم الدراسة بخاتمة تتضمن أهم النتائج والاستنتاجات المتوصل إليها.

وانطلاقاً من أهمية الانزياح في بلورة شعرية النص وتجاوز النمطية اللغوية، يفرض هذا المفهوم نفسه كونه أحد المرتكزات الأسلوبية التي تستدعي الوقوف عندها نظرياً قبل الشروع في التحليل التطبيقي، إذ لا يمكن فهم الأبعاد الجمالية والتأويلية التي تنهض بها القصيدة دون العودة إلى المفهوم الأساس الذي يقوم عليه المنهج الأسلوبي، والمتمثل في الانزياح باعتباره انحرافاً واعياً عن المألوف ومساهماً في تشكيل خصوصية الخطاب الأدبي، وبذلك تقتضي الضرورة أن تمهد لهذه الدراسة بيان دقيق لمفهوم الانزياح، في مستوياته اللغوية والاصطلاحية، واستجلاء إشكالاته المصطلحية.

2. الانزياح: المفهوم وإشكالية المصطلح

1.2 المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

لغة: إذا أردنا الوقوف على معنى الانزياح فإن المعاجم تمدنا بعدد كبير من المفاهيم المتعلقة بهذه المفردة وقد اتفقت على أن معنى الانزياح اللغوي هو البعد.

. فقد جاء في لسان العرب مادة "ز. ي. ح"، زيح: زاح الشيءُ يَزِيحُ زِيحًا وزِيوحًا وزِيحَانًا

وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غَيْرُهُ. (منظور، صفحة 1897)

فهو "مأخوذ من مادة «زاح» زوجاً وزواحاً أي زال وتنحى وتباعد وزاح الشيء زوجاً: أبعد وأزاحه: نحاه: انزاح: زال وتباعد". (متولي، 2014، صفحة 33)

اصطلاحاً: الانزياح مصطلح غربي وافد إلينا من الدراسات الأسلوبية الغربية المعاصرة، ويعني به: الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، والخروج بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة فيحدث في الخطاب تباعداً (انزياحاً)، يتيح للشاعر التمكن من محتوى تجربته وصياغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقى متعة وفائدة (متولي، 2014، صفحة 33)

كما يرى الكثير من الباحثين أنّ الانزياح هو الأسلوب في حد ذاته على رأسهم جون كوهن، الذي عدّ الأسلوبية علماً خاصاً بالانزياحات إذ يقول: "الأسلوب هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة... وهو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي فهو إذن خطأ مراد"، وهذا ما أكدّه كل من فيلي سانديرس وأسغود: "إنّ الأسلوب خروج فردي على المعيار لصالح المواقف التي يصورها النص". وفي نفس السياق يُثبت مقولة فاليري: "أنّ الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما". (زكية، 2015، صفحة 64)

أمّا ميشال ريفاتير فيعتبر الانزياح: "ابتعاد عن النمط التفسيري المتواضع عليه، وهو خروج عن القواعد اللغوية وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله وغايته التوصيل والإبلاغ، أي أنّ الانزياح هو خروج عن المألوف واستخدام صيغ جديدة" (متولي، 2014، صفحة 33)

2.2 إشكالية المصطلح

يطالعنا علماء الأسلوبية بتسميات عديدة ومصطلحات مختلفة للانزياح، وهذا الاختلاف ناتج عن الاختلاف في مفهوم المصطلح نفسه، (العدوس، 2007، صفحة 177)، فمن حيث المصطلح أحصى المسدي من الألفاظ التي قصد بها أصحابها

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقارنة أسلوبية زينب هرويني، سامية جباري

التعبير عن الظاهرة اثني عشرة لفظة (بودوخة، صفحة 39)، فهو الانزياح والتجاوز عند فاليري، والانحراف عند سيبترز والانتهاك عند كوهن، واللحن أو خرق السنن عند تودوروف، والعصيان عند أراغون، والتحريف عند جماعة مو، والشناعة عند بارت، والمخالفة عند ثيري، والاختلال عند وارين وويليك والإطاحة عند باثيار، وخيبة الانتظار عند جاكسون (العدوس، 2007، صفحة 177)، إن هذا التعدد في المصطلحات يدل على قدر الاستهواء والإغراء الذي مارسه ظاهرة الانزياح على الباحثين، بحيث أثبتت جدارتها وعدم القدرة على تجاهلها (بودوخة، صفحة 40)، في المقابل يرى عدنان بن ذريل أن هذه المسميات المختلفة هي في الحقيقة لمسمى واحد وأطلق عليه: عائلة الانزياح، وما الاختلاف في التسمية إلا نتيجة للاختلاف في النظرة إلى تطبيقاتها وتحليلاتها (العدوس، 2007، صفحة 177)

على الرغم من أن مصطلح الانزياح جاء في ثنايا الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية إلا أن هذا الأمر ليس جديداً على أدبنا العربي فقد تناوله العلماء العرب من قبل تحت مسميات أخرى كالتقديم والتأخير والحذف الإسناد، العدول، المجاز، المبالغة، وغير ذلك. (متولي، 2014، صفحة 33، 34)

بعد أن تمّ توضيح مفهوم الانزياح، وتبيان أهميته في الدراسات الأسلوبية، وبيان مشكلة التعدد اللغوي للمصطلح، يصبح من الضروري الانتقال إلى الجانب التطبيقي من هذا البحث، بهدف الكشف عن كيفية حضور الانزياح داخل البنية الشعرية لقصيدة "أحلام الخريف". فهي بمثابة فضاء لغوي تتفاعل فيه مختلف أشكال الانزياح بشكل واع، وانطلاقاً من هذا، سنرصد مظاهر الانزياح الاستبدالي والتركيب كما تتجلى في القصيدة بدءاً من العنوان كونه عتبة دلالية هامة، وصولاً إلى الانزياحات الاستبدالية والتركيبية داخل القصيدة، بما يكشف عن البعد الجمالي والدلالي الذي يضيفه الانزياح على هذا الخطاب الشعري.

3. شعرية الانزياح في عتبة العنوان

تعدّ العتبات النصية، كما بيّن "جيرار جينيت"، عناصر محيطة بالنص لكنها ليست منفصلة عن بنيته العميقة إذ تلعب دوراً إجرائياً وتواصلها بالغ التأثير في تلقي العمل الأدبي، فقد قدّم مفهوم "Paratextes" ليشير به إلى تلك المكونات التي ترافق النص مثل العنوان، الغلاف، الإهداء، المقدمة، الملاحق، واسم المؤلف، وغيرها من الإشارات التي تبدو ظاهرياً خارج النص، لكنها في حقيقتها تشكّل جزءاً لا يتجزأ من النظام التأويلي للنص الأدبي، إذ يرى جينيت أنّ هذه العتبات ليست مجرد عناصر محيطة بالنص، لكنها هي عتبة فعلية يعبر من خلالها القارئ إلى عوالم النص، وبدونها لا يمكن أن تتحقق قراءة واعية أو فهم معمق. (Genette، 1987، صفحة 7)

ومنه فإنّ عتبة العنوان تعدّ من أهم العتبات النصية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالاته فالعنوان هو أول ما يلقاه المتلقي من العمل الأدبي، وهو الإشارة الأولى التي يرسلها الشاعر أو الكاتب إليه، فهو بمثابة اسم علم يعرف به مولوده الجديد (أي القصيدة العمل الأدبي) ويعبر عن مشاعره نحوه، ومعنى ذلك أن العنوان ذو صلة عضوية بالعمل الأدبي، لهذا فإنّ عتبة العنوان محطة ضرورية في الدراسة الانزياحية، وإذا ما تفحصنا العنوان الذي اختارته الشاعرة إبتسام الهنداوي لقصيدتها "أحلام الخريف" نجد أنّ الانزياح قد تحقق في العنوان بمحوريه الاستبدالي والتركيب، فهو يشكل بوابة لغوية تنسج جسراً تواصلياً بين القارئ والنص، ممهداً له الطريق لدخول عوالمه المختلفة، حيث يمكننا النظر إلى العنوان كظاهرة سيميائية تحمل في طياتها دلالات ورموز متعددة، تدفع القارئ والحلل إلى محاولة تفكيك معانيها المتعددة والتأمل في إشاراتها الخفية. (قطوس، 2002، صفحة 02)

1.3 الانزياح الاستبدالي

يحمل عنوان قصيدة "أحلام الخريف" بُعدا دلاليا مكثفا يتجاوز المعنى الظاهري، حيث يظهر فيه انزياح استبدالي واضح يتمثل في إسناد صفة "الأحلام" إلى "الخريف"، وهو ما يُعدّ انزياحا عن المؤلف، فالحلم فعل إنساني يخص الإنسان، بينما "الخريف" موسم طبيعي وفصل من فصول السنة يدلّ على الذبول والنهايات، لقد استطاعت الشاعرة إبتسام الهنداوي من خلال انزياحها أن تنقل "الخريف" من كونه ظرفا زمنيا إلى كيان شعوري يحتضن الأمل والانكسار، فالشاعرة تستخدم اللغة لإعادة تشكيل العلاقة بين الإنسان والطبيعة، عبر استبدال المعنى المؤلف بمعنى رمزي يعبر عن حالتها، كما تفتح الشاعرة من خلال هذا الانزياح أفقا تأويليا يُعدّ بمثابة مفتاح لقراءة القصيدة، حيث تتكاثف الأحلام في لحظة السقوط، وتُصبح الرغبة في التجدد ضرورة ملحة، وبهذا يكون العنوان عتبة نصية دلالية مشبعة بالرمز، تُعلن منذ اللحظة الأولى عن بنية شعرية مشبعة بالانزياحات وتكشف عن التوترات الشعرية الكامنة في وجدان الشاعرة، والتي تُحرّكها مفارقات الذات والغياب والزمن.

2.3 الانزياح التركيبي

يتجلى الانزياح التركيبي في عنوان القصيدة من خلال التلاعب في بنية الجملة الاسمية عبر الحذف والتقديم، حيث يلفت ترتيب الكلمات في العنوان انتباهنا إلى حضور قوي للانزياح من خلال "الحذف" فتقدير الكلام: هذه أحلام الخريف، فالمبتدأ هنا محذوف لضرورة حضوره المعنوي في ذات القارئ، وفيه من التشويق الكثير إذ أنّ الأحلام الخريفية تجسدها مقاطع القصيدة، أمّا "أحلام" فهي خبر جاء ليكمل معنى المبتدأ المحذوف، وليضع القارئ ضمن إطار مبدئي للقصيدة قد يتحقق في داخلها، وجاء الخبر مضافا موضحا بمضاف إليه فهو يوضح نسبة "الأحلام" إلى وقتها وهو "الخريف"، إنّ هذا الانزياح يؤدي هذا إلى إحداث كثافة دلالية وتشويقية، حيث يُترك للمتلقى استنتاج العنصر المحذوف، مما يعزز تفاعله مع النص ويدخله مباشرة في الفضاء الشعري، فـ"أحلام" هنا، رغم كونها خبرا في التركيب العميق، تُستحضر في موقع الصدارة مما يمنحها قوة رمزية وإيحائية.

أما البنية التركيبية للعناصر فهي على النحو التالي:

العنوان:	النمط التركيبي:
أحلام الخريف	خبر (وهو مضاف) + مضاف إليه

إنّ هذا الحذف منح العبارة طابعا إيحائيا مفتوحا، إذ تُنسب الأحلام إلى الخريف، باعتبارها مكوّن من مكوناته الشعرية، وهنا يتحول التركيب النحوي إلى بنية تأويلية تُعلن عن التوتر بين الذات واللغة، بين الحلم والخريف، وتوحي بانكسار الزمن الحالم في لحظة سقوطه، وبهذا، يعمل العنوان كبوابة مفتوحة على احتمالات متعددة للفهم، وكمحرّك تأويلي يوجّه القارئ منذ اللحظة الأولى نحو أفق القصيدة.

4. تجليات الانزياح الاستبدالي في القصيدة

استند "أحمد محمد ويس" إلى ما ذهب إليه جون كوهن في تقسيمه للانزياح، فقسمه إلى نوعين: انزياح على المستوى الاستبدالي ويتعلق بالمادة اللغوية للنص، وانزياح على مستوى التراكيب وما يشتمله من سياقات داخلية للنص، والعبرة من ذلك حدوث أثر جمالي وبعد دلالي، فهناك انزياح متعلق بجوهر المادة اللغوية وقد سماه كوهن بالانزياح الاستبدالي، وانزياح يتعلق بتركيب

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقاربة أسلوبية زينب هرويني، سامية جباري

الكلمات مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه وهو ما يسمى: بالانزياح التركيبي، وانزياح صوتي أو إيقاعي حيث ينزاح الشاعر عن القواعد الشعرية المتعلقة بالوزن والقافية والإيقاع عموماً. إلا أن الكثير من الباحثين قد تحدثوا عن أنواع أخرى من الانزياح حتى أوصولها إلى خمسة عشر انزياحاً ولكن المشهور منها هذه الأنواع الثلاثة. (العدوس، 2007، صفحة 187)

ويُعد الانزياح الاستبدالي أحد أبرز مظاهر الانحراف الأسلوبي في اللغة الشعرية، ويتجسد بصورة رئيسة في توظيف الصور البلاغية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وتكتسب هذه الأدوات أهميتها من كونها تُعدّ آليات جوهرية في تشكيل البنية الشعرية وإنتاج المعنى بطريقة مغايرة للمألوف لتخرق أفق التلقي.

وعند تأمل قصيدة "أحلام الخريف" للشاعرة إبتسام الهنداوي، يتجلى لنا بوضوح استثمارها للصور البيانية التي تتجاوز المعنى الحرفي للكلمات، لتكشف عن دلالات نفسية وانفعالية. وقد استخدمت الشاعرة هذه الصور على أنها أدوات تعبيرية تُجسد حالاتها الوجدانية المرتبطة بالغربة، والحنين إلى الوطن سوريا، وتقلّبات العاطفة بين الرجاء والأمل والانكسار. وتتموضع هذه الصور البلاغية ضمن المستوى الاستبدالي للانزياح، حيث تُستبدل العلاقات المألوفة بأخرى غير متوقعة، لبناء دلالات جديدة ومكثفة تنقل التجربة الشعرية بأسلوب غير مباشر، وتتطلب من القارئ تأويلاً عميقاً يتجاوز المستوى السطحي للنص.

تمثل عبارة "هَمْتُ بدنيا الخيال الخصيب" (الباحثين، 2008) نموذجاً دالاً على الانزياح الاستبدالي، من حيث خرقها للمألوف حيث أسندت الشاعرة صفة "الخصب" إلى "الخيال"، وهو تعبير غير مألوف، حيث تستخدم لفظة "الخصب" عادة مع "الأرض أو التربة" للإشارة إلى قدرتها على الإنبات والعطاء أمّا هنا، فقد وظفت الشاعرة هذه الصفة في حقل معنوي مختلف، هو الخيال، ممّا يُحدث انزياحاً دلالياً ينقل المفردة من معناها الحرفي إلى مستوى استعاري أعمق.

ف"الخيال الخصيب" هو فضاء ذهني تتكاثر فيه الصور، وتُنتج فيه التجربة الشعرية بشكل مستمر ومتجدّد علاوة على ذلك فإنّ هذه العبارة تحقق من الناحية الأسلوبية، وظيفة الانزياح الاستبدالي كما حدّدها جون كوهن، كونها خروج عن الصياغة النمطية للكلام، وإعادة بناء للعلاقات اللغوية بما يخدم إنتاج المعنى الشعري، مضفياً عليه جمالية وطابعاً رمزياً خاصاً.

كما أن فعل "هَامَ" في بدايته يعزّز من الطابع الخُلُمي والانفعالي للجملة، إذ يعبر عن انغماس وجداني كامل في عالم غير واقعي، ومنه فإنّ هذه العبارة بمجملها تُشكّل صورة شعرية مكثفة تعكس انفصال الذات عن الواقع الخارجي، وارتقاءها في عالم داخلي غني بالأحلام والخيال، وهو ما يتسق مع جو القصيدة العام الذي يتراوح بين الحلم، والحنين، والاغتراب.

نلفي انزياحاً آخر في قولها، "وضجتْ بصدري أمور كثيرة" (الباحثين، 2008) يعكس لنا اضطراب مشاعر الشاعرة، فقد شبهت الأمور بأناس يتزاحمون لكي تترجم لنا أحاسيسها الكثيرة والمتضاربة والمتذبذبة. كما تُعدّ عبارة "وضجتْ بصدري أمور كثيرة" (الباحثين، 2008) مثالاً بارزاً على الانزياح الاستبدالي في بنية القصيدة، لما تنطوي عليه من خروج دلالي عن المألوف وتوظيف مجازي مكثف، فالفعل "ضجتْ" يُستخدم عادة للإشارة إلى صخب الأصوات أو تزاخم الحشود، لكنه هنا أُسند إلى "أمور كثيرة"، وهي مفردة عامة تشير إلى مشاعر داخلية وتجارب شعورية في ذات الشاعرة، مثل الخوف، والرجاء، والحيرة، واليأس. وبهذا الانزياح تخرج العبارة عن الإطار المرجعي المألوف إلى بناء صورة حسّية لحالة نفسية مضطرب، وبهذا تتسق الصورة مع السياق الكلي للقصيدة، التي تنتقل تدريجياً من الحلم والخيال إلى التوتر والانكسار، وهو ما يعزز البنية التخيلية للنص ويكثّف أبعاده التأويلية.

ومن ملامح الانزياح أيضاً قول الشاعرة: "ونكسو الفيافي هوى مورقا" (الباحثين، 2008) فهنا تتلاعب إبتسام الهنداوي بالكلمات لتتحرف عن التعبير المألوف إلى مستوى تعبيريّ أعلى، فالأصل أن العبارة تتضمن صورتين مركبتين، ففي الصورة الأولى

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقارنة أسلوبية زينب هرويني، سامية جباري

شبهت الفيافي بإنسان يكتسي بتياب، فحذفت المشبه وتركت القرينة الدالة على ذلك "نكسو" أما في الصورة الثانية "هوى مورقا" قد شبهت الهوى بشجرة مورقة، ففي الصورة الأولى تُسند لفظة "نكسو" وهي فعل يدلّ في الاستعمال المألوف على إلباس الكائن الحي إلى "الفيافي"، وهي جمع "فلاة" أي الأرض القاحلة، مما يُشكّل استعارة مكنية تقوم على تشخيص الطبيعة، إذ تُقدّم الأرض الجرداء على هيئة كائن يتلقى الكساء. وقد حُذف المشبّه به (الإنسان)، وأبقى على قرينة الفعل الدالة عليه، وهو ما يُعد خرقاً متعمداً للتركيب العادي للغة، أمّا في الصورة الثانية، فـ"الهوى" وُصف بأنه "مورق"، وهي صفة تُطلق على الشجر والنبات في ذروة نموه واخضراره، ما يشكّل استعارة تمثيلية ثانية، يُشبّه فيها الحب بالشجر، دلالة على العطاء والامتلاء والخصوبة.

من خلال هذا الانزياح نجد أنّ الشاعرة جمعت بين صورتين مجازيتين في بُنية واحدة: الأولى تمثّل الفيافي كجسد عارٍ يُكسى، والثانية الهوى كشجرة وارفة تُغطي هذا الجسد الرمزي بالأمل والحياة، كما أنّ هذه الصورة المركبة تؤدي وظيفة رمزية تتماشى مع الجو العام للقصيدة، حيث يتكرر التوتر بين الخصب والجفاف، بين الغياب والرغبة في البعث، في إطار انفعالي مشحون بالحنين ومحاولات استعادة الذات في وجه الفراغ كما تُعد هذه العبارة امتداداً لجو الحيرة والتهيب الذي تسعى القصيدة إلى تجسيده منذ بدايتها، فبين "الخيال الخصب" و"ضحيج الصدر"، نلاحظ تصاعداً في حدة الانفعال والتوتر العاطفي، وهو ما يعكس التراكب النفسي الذي تعانيه الشاعرة.

وهكذا تستمر الشاعرة في انزياحاتها، فتقول: "وأغفو على كتف الراية" (الباحثين، 2008) فجعلت للراية كتفاً، وبالتالي بثّت الحيوية في الجماد أي "الراية"، لتشارك كل عناصر الطبيعة مشاعرها، فقد اتخذت من الطبيعة ملاذاً للتعبير عن مشاعرها وآمالها، فالراية هي معلم طبيعي جامد لا تملك "كتفاً" بالمعنى الحسي، لكن الشاعرة تمنحها هذه الصفة لتقيم علاقة تشخيص بين الذات والطبيعة، فتصبح الراية أشبه بكائن حي يحتضنها، وتتحوّل من مشهد خارجي إلى ملاذ شعوري، أو حيز حميم يُسند إليه معنى الطمأنينة والانتماء.

تُفاجئنا الشاعرة ثانية بانزياح آخر في قولها "قبل احتراق الحنين" (الباحثين، 2008) حيث أرادت أن تعبر عن مدى اشتياقها لوطنها، فشبهت "الحنين" بشيء يحترق، حيث يُصوّر "الحنين" كعنصر قابل للاشتعال، وهو ما يُخرج المفردة من سياقها التجريدي إلى حقل تصويري قائم على الانزياح، فبدل أن يُقال: "قبل أن يتلاشى الحنين" أو "يخبو"، تستخدم الشاعرة فعل "الاحتراق"، لتكتفّ الشعور بالاشتياق، وتعبّر عن حالة وجدانية متوهّجة على وشك الانطفاء، ثم تمنى لو أن هذا الوطن يستمع إليها لتهرق فيه مشاعرها وحنينها إليه، لهذا نجد أنها لجأت إلى الانزياح في العبارة الموالية في قولها: "وتصغي إليّ" (الباحثين، 2008) حيث تتوجه الشاعرة بالكلام إلى الوطن، مُسندة إليه فعل "الإصغاء"، وهو ما يُعد انزياحاً آخر ينطوي على تشخيص رمزي لكيان مجرد فالوطن هنا يُصوّر ككائن حاضر، يُمكن مخاطبته والانفتاح عليه شعورياً.

تمثّل هذه الانزياحات مجتمعة محاولة للتعبير عن الانفعالات المكبوتة من خلال تشكيل صور شعرية تتجاوز النمط التقريري المباشر، وتُتيح للغة أن تؤدي وظيفة إيحائية ذات طابع عاطفي عميق، وهي تؤكد اتساق البناء الاستبدالي في القصيدة، كونه أداة مركزية في التعبير عن الذات في لحظة حنين مشبعة بالشوق والانكسار.

يتواصل حضور الانزياح الاستبدالي في القصيدة عبر صور تنطوي على إسقاطات مجازية تشحن المفردات بطاقات دلالية غير مألوفة. ففي قول الشاعرة: "أكسوك دفيّ الهوى" (الباحثين، 2008) فتتراح بالتعبير بتشبيهها للهوى والحنان بالتياب مما يعكس تبادلاً رمزياً في العلاقة بين الذات والوطن؛ فالشاعرة لا تكتفي بطلب الحنان من الوطن، لكنها تعرض عليه مشاعرها ككساء،

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقاربة أسلوبية زينب هرويني، سامية جباري

ويُصبح الوطن هو المتلقي للعاطفة، لا فقط مانحاً لها، ممّا يُضفي على العلاقة بين الطرفين بُعداً وجدانياً متبادلاً، تتجاوز فيه الرؤية النمطية للوطن.

وكذلك هو الحال في عبارة "أعدو وتعدو إلى الملتقى" (الباحثين، 2008) فيتجسد الانزياح من خلال تشبيه الوطن بإنسان يجري، وهو ما يخرج بالوطن عن طبيعته الساكنة إلى كائن حيوي يشارك الشاعرة ويسابقها نحو اللقاء، فإن استخدام الشاعرة للفظـة "تعدو" بصيغة الفعل المضارع المنسوب إلى الوطن، يُعد خرقاً دلالياً واعياً، حيث يُحوّل الوطن إلى ذات فاعلة تملك الإرادة والرغبة، ويمثّل هذا الانزياح تكثيفاً لحالة الشوق، إذ تنقل الشاعرة الحنين من مستوى نفسي إلى صيغة حركية ديناميكية، تعبّر عنها من خلال استعجالها للقاء، وتسارع العاطفة، ورفض الثبات أو الجمود الذي قد يرمز إلى الفقد أو الانقطاع.

وبالتأمل في الأبيات الختامية في المقطع الأخير: نجد فيها كثافة انزياحية عالية، تتجلى في صور متلاحقة تنقل القارئ من التخيل إلى الانكسار، ومن الحلم إلى المواجهة القاسية مع الخيبة، تقول الشاعرة:

والمح عبر الصدى ماردا

يبعثر حلمي، يسد المدى

يدوس الزنايق، يغزو الحقول

أضرع، يُدمي رجائي السؤال

ترفّق فما ذاك إلا خيال

وتعلم أن الرؤى لا تطول (الباحثين، 2008)

تلجأ الشاعرة إلى مجموعة من الانزياحات لتشكّل في مجموعها مشهداً شعرياً يغلب عليه التوتر والعنف الرمزي إذ يظهر "المارد" على أنه تجسيد رمزي لقوة معطّلة، غاشمة، تتدخل في الحلم وتبعثره، وتُعيق امتداده، وتدوس رموزه النقية (الزنايق)، وتغزو حقوله، في إشارة إلى العدوان على المجال الذاتي الحبيب الذي تمثله الأحلام والمشاعر.

ويبلغ الانزياح ذروته في قولها: "أضرع، يُدمي رجائي السؤال"، حيث يُنسب فعل "الإدعاء" إلى "السؤال"، في حين يُقدّم "رجائي" كمفعول به متألم، فهذه البنية المجازية تُنتج علاقة سببية عكسية؛ فالسؤال، الذي يُفترض أن يكون وسيلة لفهم أو طمأننة، يتحول هنا إلى مصدر للألم، مما يشكّل مفارقة شعرية تنقل مأساة الذات الباحثة عن جواب من الوطن فلا تجده.

يتجلى انزياح آخر في البيت الأخير في قولها: "ترفّق، فما ذاك إلا خيال وتعلم أن الرؤى لا تطول"، أسندت الشاعرة فعل المعرفة إلى الوطن، إذ توجه خطابها إلى كيان غير عاقل في الأصل، وتُعطيهِ صفة "العلم". هذا الانزياح يندرج تحت التشخيص المجازي، ويُعبّر عن استمرار الرغبة في إقامة علاقة تواصل مع الوطن باعتباره ذاتاً واعية، تسمع وتفهم وتشعر، رغم غيابها عنه.

وتأتي العبارة الختامية: "أنّ الرؤى لا تطول"، لتُنهى المسار الحلمي الذي بدأ في مستهل النص، فهي نهاية تعلن سقوط الوهم، وتُغلّق الدائرة التي ابتدأت بـ "أحلام الخريف"، مؤكدة أن الرؤى والأحلام محكوم عليها بالاندثار والزوال.

بهذا، تُنهي الشاعرة قصيدتها بسلسلة من الانزياحات التي تُكثف حالة الانخيار الوجداني، وتعكس إدراكاً مريراً بهشاشة الأمل في واقع لا يمنح سوى الخيبة، مُوظفة بذلك الانزياح الاستبدالي كوسيلة تعبيرية لإعادة بناء العلاقة بين الذات واللغة والواقع.

5. تحليلات الانزياح التركيبي في القصيدة

يرى الباحث "أحمد ويس" في كتابه الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية أن "الانزياح التركيبي هو طريقة الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب أو الفقرة". (ويس، 2005، صفحة 120) فالمكون التركيبي هو ما ينجم عن التركيب النحوي للألفاظ والمعاني في بعده التوزيعي من تجاوزات الأصول اللغوية كالترقيم والتأخير والحذف، وما يتميز به التركيب من تشاكل وتناسب كالتكرار أو المخالفة كالاتفات، إذ تشكل هذه المباحث أهم الظواهر التركيبية التي تجسد كافة أشكال الانحرافات الأسلوبية النوعية والكمية، وتكشف بشكل أو بآخر عن النظام الأسلوبي للغة النص. (عبانية، 2007، صفحة 119)

إنّ الانزياح التركيبي متعلق بالنحو، فهو أساس الوصول إلى أصل المعنى، ويؤكد ذلك عبد القاهر الجرجاني في قوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ويعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها" (الجرجاني، 2003، صفحة 128) حيث يعتبر ظاهرة الانزياح في الأسلوب ميزة كبيرة للشعر، إذ يصبح أصل الفائدة ومبعث الرقة وسبب الاستمتاع، وذلك أنه كلما انزاحت اللغة عن المألوف، فإنها تكون أكثر جمالية وشعرية.

1.5 التقديم والتأخير

لقد أرادت شاعرتنا من خلال قصيدتها "أحلام الخريف" أن تنقل للقراء أحاسيسها ومشاعرها تجاه الوطن، لهذا نجدها في بعض الأحيان تقدم ما يتأخر وتأخر ما يتقدم، وتشكل لنا بانزياحاتها جمالية تزيد من شعرية اللغة في القصيدة وتبين ذلك في عدة مواضع منها:

من الأمثلة اللافتة على الانزياح التركيبي في القصيدة قول الشاعرة: "وغنّت لمراك أيامنا" (الباحثين، 2008) حيث تخرج الجملة عن الترتيب النحوي المعتاد الذي يقتضي تقديم الفاعل على ما يليه، إذ الأصل أن يُقال: "وغنّت أيامنا لمراك". لكن الشاعرة تُقدّم شبه الجملة "لمراك" على الفاعل "أيامنا"،

لقد ركزت الشاعرة من خلال هذا التقديم على لفظة "لمراك" فهي السبب العاطفي وراء الفعل، ففي هذا التقديم تقدير لمكانتها فبهذا الترتيب، يصبح "المراك" هو العنصر المهيمن دلالياً، بينما "أيامنا" تُقدّم لاحقاً كفاعل مشحون بالحنين والاستجابة، وقد أضفى هذا الانزياح بعداً إيقاعياً كسر النمط المتوقع في تلقي المعنى، مما يرفع من مستوى التوتر الشعري، ويؤسس لتجربة لغوية قائمة على المفاجأة وخرق أفق التوقع لدى المتلقي.

تباغتنا الشاعرة بانزياح آخر في قولها: "أيمكن يا قلب أن نعشقا" وهذا تأخير للفاعل لوجود جملة اعتراضية بين الفعل والفاعل، والأصل أيمكن أن نعشق يا قلب، ولعلّ غاية الشاعرة من الخروج عن ترتيب الجملة وتأخيرها للفاعل هو التركيز والاهتمام بالقلب، فخطابها موجّه للقلب وموجه إليه. فالقلب هنا هو موضع الحيرة، والجهة المعنية بالإجابة، والمشارك في الانفعال.

2.5 الحذف

يُعد الحذف من أبرز آليات الانزياح التركيبي، لما يُحدثه من خرق مقصود في البنية النحوية التقليدية، دون الإخلال بالمعنى، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى القيمة الجمالية لهذا الأسلوب بقوله: "هو باب دقيق المسالك عجيب الأمر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق" (متولي، 2014، صفحة 42)، وتكمن أهمية الحذف في إثارة

شعرية الانزياح الاستبدالي والتركيب في قصيدة "أحلام الخريف" لإبتسام الهنداوي مقارنة أسلوبية زينب هرويني، سامية جباري

الانتباه، ولفت النظر والبعث على التفكير فيما يحذف، فتحدث عندئذ عملية اشتراك للمتلقى في الرسالة الموجهة إليه، مما يدل أنّ البلاغيين كانوا على وعي بتأثير الحذف وقيّمته في التركيب فالحذف، إذن خروج عن النمط الشائع في التعبير أو هو خرق لسنن اللغوية ومن هنا كانت قيمته وتأثيره. (سليمان، 2004، صفحة 137، 138)

فالحذف خيار بلاغي يساهم في توليد الدلالة عبر الإضمار والإيحاء، وهو ما يوظّف بكثافة في قصيدة "أحلام الخريف" ومنه يعد الحذف من أدوات الانزياح اللغوي نظرا لما يحدثه من خرق في نظام الجملة.

ومّا صادفنا من حذف في القصيدة قول الشاعرة: "نظرت فتنت" نجد أن الشاعرة حذفت شبه الجملة إليك وأصل الكلام أن تقول نظرت إليك، وقد زاد هذا الحذف جمالية وشعرية. نلمح حذفاً آخر في قولها "أيمكن يا قلب أن نعشقا" حيث حذفت المفعول به لأن الفعل "يعشق" هو فعل متعد يحتاج إلى مفعول به. فقد زاد هذا الحذف في تكثيف الدلالة وتشويق المتلقي الذي تركته يستتج جهة النظر، مما يجعل عبارتها مفتوحة على عدة تأويلات.

إنّ هذا الحذف يُرسّخ التوتر الشعوري لدى الشاعرة، ويعزز البعد الذاتي في الخطاب، فالمخاطب حاضر في وجدانها دون أن يُسمّى مباشرة، ومنه فإن الحذف قد تجاوز الوظيفة النحوية إلى أداء شعري يحقق الاقتصاد اللغوي دون تفريط في المعنى، كما يسمح بتوسيع دائرة التأويل، ويمنح النص شعرية في اللغة.

كما يتجسد استثمار الشاعرة لتقنية الحذف بقوة في هذا المقطع حيث تقول:

تقدّم تحرب منه الرمال

وألقى الرّحال كرم غرير

أطال المسير

فأثقل أقدامه الحافيه

وأغفى على كنف الرايه

يتجلى الانزياح التركيبي في هذه الأبيات من خلال توظيف "الحذف" كونه آلية أسلوبية بارزة، حيث يتكرّر من خلالها حذف الفاعل في معظم الأسطر، مما يُحدث فراغا مقصودا في البنية التركيبية للنص، كما يساهم هذا الحذف في تكثيف الدلالة، وإضفاء بعد إيجائيّ مفتوح، وبالتالي يمنح المتلقي دورا تأويليا فاعلا، فيصبح شريكا في إنتاج المعنى، من خلال ملء هذه البياضات التي تتركها الشاعرة.

نخلص في الأخير بعد رصدنا لشعرية الانزياح في قصيدة "أحلام الخريف" أنّ الشاعرة اعتمدت على استثمار الانزياح كآلية تعبيرية مركزية في بناء الخطاب الشعري، حيث استخدمته لتوليد صور جديدة، وإعادة توزيع الدلالة على نحو يُترجم التوتر النفسي والحنين العاطفي لوطنها، وقد بيّن الجانب التطبيقي أنّ هذه الانزياحات جاءت منسجمة مع البنية الشعرية للنص، كما ساهمت في نقل التجربة من حدود الذات الفردية إلى أفق شعري أكثر شمولاً ورمزية.

6. خاتمة:

في ضوء ما تمّ تحليله، تخلص هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الأساسية التي تبرز القيمة البلاغية والجمالية لآلية الانزياح في بناء الخطاب الشعري:

• يُعدّ الانزياح محورا مركزيا في الدراسات الأسلوبية، وأداة تحليلية فعّالة تساهم في تفكيك البنية الشعرية وإبراز جمالياتها، حتى أنّ بعض الدارسين وصفوا الأسلوبية بأنها "علم الانزياحات"، نظرا لارتباطها العضوي بهذه الظاهرة.

• على المستوى المفاهيمي، يُحيل الانزياح في معناه اللغوي إلى "الابتعاد"، بينما يدلّ في الاصطلاح النقدي على انحراف المبدع عن النسق اللغوي المألوف، وهو خروج يُشكّل قيمة جمالية تعبّر عن التجربة الشعرية وتمنح النص بعده التخيلي والانفعالي.

• لقد سعى هذا البحث إلى الكشف عن شعرية الانزياح في قصيدة "أحلام الخريف" للشاعرة إيتسام الهنداوي، مركزا على كيفية توظيف الانزياح كآلية بلاغية تؤسّس لبلاغة الخطاب الشعري، وقد تبين أنّ القصيدة تعتمد بشكل واضح على انزياحات مركبة، بدء من عتبة العنوان التي تجلّى فيها الانزياح التركيبي والدلالي، وصولا إلى البنية الداخلية للنص.

• اعتمدت الشاعرة على الانزياح الاستبدالي من خلال توظيف الصور البيانية المتنوعة، لتجسيد المشاعر الداخلية المرتبطة بالغربة والحنين، وتحويلها إلى مشاهد رمزية ذات دلالات مركبة.

• كما وظّفت الانزياح التركيبي عبر آليات الحذف، والتقديم، والتأخير، حيث ساهم هذا الانحراف في التشكيل الجمالي لشعرية اللغة، مكنّها من تجاوز النمط المألوف نحو بناء شعري مشحون بالانفعال والرمزية.

• وفي المجل، يتكشف من خلال القراءة أنّ الانزياح أداة تأويلية فاعلة تسعى من خلالها الشاعرة إلى نقل تجربتها الشعرية المركبة بلغة منفتحة على تأويلات عديدة، ومشحونة بالحنين، والتوتر، والرغبة في العودة إلى الوطن.

5. قائمة المراجع:

- بودوخة، مسعود. (د.ت). الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية. دار عالم الكتب الحديث.
- الجرجاني، عبد القاهر. (2003). دلائل الإعجاز. المكتبة العصرية.
- سليمان، فتح الله أحمد. (2004). الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية. مكتبة الآداب.
- عبانية، سامي محمد. (2007). المنهج الأسلوبي: رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث. جدار للكتاب العلمي للنشر والتوزيع.
- أبو العدوس، يوسف. (2007). الأسلوبية: الرؤية والتطبيق. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- فضل، صلاح. (1992). علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته. مؤسسة دار عالم المعرفة.
- قطوس، بسام. (2002). سيميائية العنوان. وزارة الثقافة.
- متولي، نعمان عبد السميع. (2014). الانزياح اللغوي: أصوله وأثره في بنية النص. دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- معجم البابطين لشعراء العربية. (2008). إعداد مجموعة من الباحثين. شبكة الألوكة.
- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب (تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله). دار المعارف.
- ويس، أحمد محمد. (2005). الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- يحيوي، زكية. (2015). الانزياح في القواميس العربية والفرنسية. مجلة الممارسة اللغوية، 6(2)، 76.61
- Genette, G. (1987). *Seuils*. Éditions du Seuil.